ثانيًا: عبد الناصر.. ومناصرة القضايا العربية ومناهضة الاستعمار الغربي

لم يتوقف دور عبد الناصر (١٩١٨ – ١٩٧٠) في تدعيم وإشعال فتيل الثورات العربية وفقط – كما سردنا من قبل – بل كان دوره واضحًا وفعالًا في مناصرة القضايا العربية، ومقاومة الأحلاف العسكرية الاستعمارية، ومناهضة الاستعمار والإمبريالية الجديدة، وتطويق مصالحها ونفوذها وأغراضها داخل الكيان العربي.. ونطرح هذا الدور من خلال ما قام به من أدوار فاعلة في الأردن ولبنان والصومال.

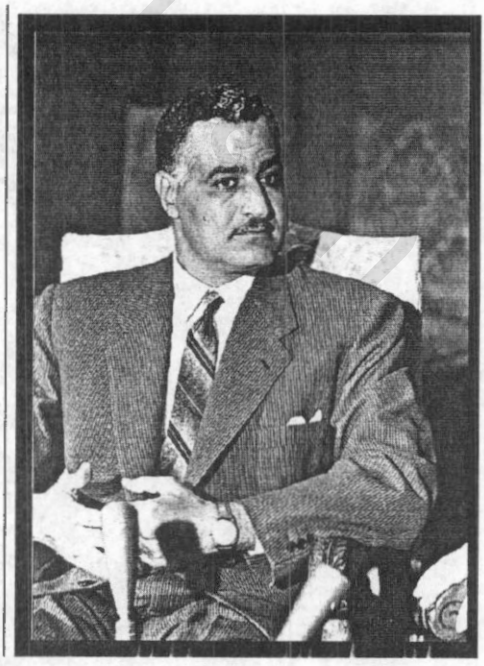

١
عبد الناصر والأردن

الأردن واقعة في وسط مجموعة كثيرة من المسائل الإستراتيجية والمآسي في الشرق الأوسط The Middle East ، وهي مملكة شرق أردنية في أغلبية فلسطينية ومتورطة – كما يذكر أنتوني كوردسمان – في كل المشكلات التي تؤثر على المواجهة بين إسرائيل وسوريا ومستقبل الأراضي المحتلة ، ونمو التطرف الديني.. وهي فقيرة جدًا لتنافس في النمو العسكري الإسرائيلي السوري ومعرضة للتهديد بشكل كبير إذا لم تشترك.

–والمساحة الكلية للأردن ٨٨٠ و٩١ كيلومترًا مربعًا ، وحدودها البرية ١٣٤ كيلومترًا مع العراق، ٢٣٨ كيلومترًا مع إسرائيل ، ٧٤٢ كيلومترًا مع المملكة العربية السعودية، ٣٧٥ كيلومترًا مع سوريا ، ٩٧ كيلومترًا مع الضفة الغربية ، ولها سواحل على خليج العقبة طولها ٢٦ كيلومترًا ، وتوجد بالأردن قليل من المصادر الطبيعية بخلاف الفوسفات ، ويوجد بها احتياطي وقود مؤكد قدره ٥٠٠ , ٠٠٠ برميل ، ١٠٠ مليار متر مكعب من الغاز الطبيعي وموارد المياه بالأردن محدود للغاية تقدر بحوالي ٤٥ كيلومتر مربع من المياه الجوفية المتجمدة ، أي: حوالي ١٧٣ متر مكعب من المياه للفرد الواحد أي ١٠/١ من نصيب الفرد في الولايات المتحدة الأمريكية ، كما يذكر كوردسمان في كتابه بعد العاصفة[1].

(1) أنتوني هـ كوردسمان بعد العاصفة ، التغيرات في التوازن العسكري بالشرق الأوسط ، ترجمة وتقديم وتعليق المشير محمد عبد الحليم أبو غزالة ، دار الهلال (المصرية) ، ص٣٢٥، ٣٢٦.

– ومن نافلة القول أن نذكر أن الأردن يدين في وجوده لبريطانيا «العظمى» ، والتي أرادت مكافأة العائلة الهاشمية من الحجاز لدعمها لثورة العرب خلال الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ – ١٩١٨) وفي مناورة سياسيّة بعد معاهدة «فرساي» قسمت بريطانيا الانتداب التركي على فلسطين إلى قسمين ، وخلقت كيانًا جديدًا أطلقت عليه «شرق الأردن».

– وعلى الرغم من استيلاء السعودية على الحجاز عام ١٩٢٦م فإن بريطانيا «العظمى» ساعدت المملكة الجديدة لإنشاء قوات مسلحة ، واستخدمت القوات الجوية الملكية في إيقاف تقدم القوات السعودية ، ومنعتها من الاستيلاء على «شرق الأردن» .. والنتيجة كانت مملكة صغيرة معظم سكانها من البدويين الرحل لهم بعض التقاليد والولاء للهاشميين كإشراف لمكة.

– ولأن المنطقة كانت جزءًا من شمال الحجاز ، وتم إنشاء وتكوين جيش شرق الأردن في عام ١٩٢٠ – ١٩٢١م.. والتي أطلقت عليه اسم «الفيلق العربي» ، وهو الاسم الذي كان مستخدمًا خلال الصراع ضد الأتراك.. وكانت بريطانيا «العظمى» تدفع رواتب الفيلق العربي ، وكان ضباطه بريطانيين ، ويتلق تدريبًا بريطانيًا .. وفي الوقت نفسه أدى ذلك إلى وضع هذه القوة عمليًا و«واقعيًا» تحت السيطرة البريطانية.

– وقد أدى امتصاص شرق الأردن لعدد كبير من الفلسطينيين عام ١٩٤٨م «بعد النكبة» إلى خلق مملكة الأردن ، وزاد من قوتها البشرية «عدد السكان» ، ولكن رغم ذلك بدأ نوع من الانقسام بين السكان الأصليين لشرق الأردن والفلسطينيين ، الذين استوطنوا المملكة ذات الموارد المحدودة[1].

(1) أنتوني هـ. كوردسمان : بعد العاصفة ، ترجمة وتقديم وتعليق المشير محمد عبد الحليم أبو غزالة، ص٣٢٦

- وإذا كانت رسالة عبد الناصر (١٣٣٦ - ١٣٩٠هـ - ١٩١٨ - ١٩٧٠م) قد أعطت الشعب العربي عامة - بعد بزوغ الثورة واندلاعها - الثقة والأمل فإنها كانت ذات معنى خاص في إطار وضع الأردن، حيث أضيف إلى الإحباطات الكامنة في أصول وطبيعة الدولة نفسها ثقل مأساة فلسطين، التي انغمر فيها الأردن أكثر من أي قطر آخر[١].

- وترى الباحثة نجلاء أبو عز الدين في كتابها «ناصر العرب»: «إن نشأة دولة الأردن كانت نتيجة حدثين مؤلمين في تاريخ العرب الحديث.. أولهما: أنه بعد أن أطاح الفرنسيون سنة ١٩٢٠م بالحكومة الفيصلية في دمشق، واحتلوا سورية، اقتطع البريطانيون شرق الأردن، الذي كان في ذلك الحين إحدى المقاطعات السورية، ونصبوا أميرًا عليه عبد الله شقيق الملك فيصل.. أما الحدث الثاني.. فوقع سنة ١٩٤٩م بعد نكبة فلسطين (عام ١٩٤٨) إذ ضم ما تبقى من فلسطين إلى شرق الأردن فيما أصبح معروفًا بالمملكة الأردنية الهاشمية»[٢].

- وزاد مأساة الفلسطينيين ألمًا غارات إسرائيل داخل قرى الأردن «الحدودية»، والفتك بسكانها، وتفاقم الشعور بالمرارة لدى سكان الحدود وبقية سكان البلاد من جراء وضعهم المتردي البائس، والذي لم يروا سوى أمل واحد للخلاص منه هو انتصار الثورة Revolution التي قادها عبد الناصر، ودمجهم في كيانٍ عربي أكبر.

---

(1) نجلاء أبو عز الدين: ناصر العرب، ترجمة فريد أبو عز الدين، دار المستقبل العربي، القاهرة، طبعة عام ١٩٨٨، ص٢١٥.

(2) نجلاء أبو عز الدين: ناصر العرب، ترجمة فريد أبو عز الدين، دار المستقبل العربي، القاهرة، الطبعة الأولى، عام ١٩٨٨، ص٢١٥.

– وفي كانون الأول (ديسمبر) عام ١٩٥٥م أوفدت الحكومة البريطانية إلى عمان (الأردن) مبعوث رفيع المستوى هو الجنرال جيرالد تمبلر رئيس هيئة أركان الإمبراطورية البريطانية للتفاوض بشأن دخول الأردن «حلف بغداد» ، ورأى الشعب بشعور غريزي أن «الحلف» المقترح ليس سوى مشروع إبعاد وتوجيه العرب بعيدًا عن إسرائيل[١].

– وقد أثارت بعثة «تمبلر» معارضة حادة في سائر أنحاء القطر ، فعمت الاضطرابات والمظاهرات وشلّ كل نشاط حتى أنّ موظفي الحكومة ومستخدميها أضربوا وتعطلت الاتصالات وقطعت المواصلات ، فأغلقت طريق «القدس – عمان» ، كما أغلق مطار «القدس» ، وأجبر الفوران الشعبي والاضطرابات الجماهيرية ثلاث حكومات متتالية على الاستقالة في ظرف أيام قلائل ، وتلبية لصوت الشعب المدوي رفض مجلس النواب الحلف[٢].

– وترى الباحثة نجلاء أبو عز الدين أن بريطانيا (العظمى) قد حملت مصر مسؤولية فشلها في الأردن مع أن الأمر لم يكن يحتاج إلى كثير من الذكاء لإدراك أن الفلسطينيين، والذين يشكلون ثلثي سكان الأردن ، والذي كان نصفهم من اللاجئين لم يكونوا في حاجة إلى مهماز يثيرهم ضد محاولة تضعهم في صف الدولة المسؤولة في الدرجة الأولى عن محنتهم[٣].

–ففي الأردن كما في غيره انبعثت مقاومة حلف بغداد وبعد مبدأ

(1) نجلاء أبو عز الدين: ناصر العرب ، ص٢١٥.

(2) نجلاء أبو عز الدين : مرجع سابق ذكره ، ص٢١٥.

(3) نجلاء أبو عز الدين : ناصر العرب ، ترجمة فريد أبو عز الدين ، دار المستقبل العربي ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، عام ١٩٨٨، ص٢١٦.

إيزنهاور (١٨٩٠ - ١٩٦٩م) عن قناعات حقيقية بأن هذه المشاريع غريبة على الاهتمامات العربية ولها أهداف استعمارية.

- وترى الباحثة نجلاء أبو عز الدين في كتابها «ناصر العرب» بأن الذين فسّروا تصرف شعب الأردن في سياق النفوذ المصري فاتهم طبيعة هذا النفوذ وقوته الحقيقية، ولم يكن ما تقوله إذاعة القاهرة، بل ما كانت تنجزه الثورة المصرية هو ما أثار تجاوب الجماهير في الأردن ، وفي غيره من أرجاء الوطن العربي ، ومن هذه الإنجازات شراء السلاح من الكتلة السوفيتية ، فكان دليلًا محسوسًا على إمكانية الحصول على وسائل الدفاع ، وبناء قوة ذاتية تحقق أهدافًا وطنية ، وأن نظام محالفات لا تمت بصلة إلى هموم ومصالح عربية حقيقية كان لابد أن يفشل[1].

- وفي أعقاب هذا الصدّ لحلف بغداد أقيل القائد البريطاني للجيش الأردني الفرق جلوب باشا ، وجاءت إقالته في مارس (آذار) عام ١٩٥٦ نتيجة عدة عوامل تمثلت في الآتي:- كان وجود ضابط بريطاني على رأس الجيش الأردني إهانة «واضحة» للشعور الوطني، ونفوذ جلوب على الحكومة الأردنية سبب السخط والغضب الكبيرين.. وقد مارس (جلوب) بحكم المكانة الخاصة لبلاده في الأردن ، ولأن الإعانة البريطانية للجيش الأردني كانت تصرف عن يده ، ثم إن سلطة (جلوب) أثارت حفيظة الملك حُسين ، والذي تحين الفرصة للخلاص من الرجل ، والذي كان الحاكم الفعلي للبلاد دون منازع.

وقد اعتبرت إقالة (جلوب) ضربة قوية لمكانة بريطانيا (العظمى) في العالم

(1) نجلاء أبو عز الدين: مرجع سابق ذكره ، ص٢١٦.

العربي The Arab World ، وبالتالي تعزيزًا لهيبة عبد الناصر ونفوذه. . وقد اضطرب إلى حد غير معقول رئيس وزراء بريطانيا والوزراء وقطاعات من الصحافة حول طرد ضابط كان – من الوجهة القانونية – موظفًا لدى الحكومة الأردنية!!

-احتفظ التيار القومي باندفاعه ، وتدفقه خلال عام ١٩٥٦ ، وازداد اقتراب الأردن من سورية ومصر، فعقد مع كل منهما اتفاقية لتنسيق خططهما «الدفاعية» .. وفي شهر أغسطس (آب) اتفق الأردن وسورية على إقامة وحدة اقتصادية.

- وكان الأردن خلال أزمة حرب السويس (١٩٥٦م) هدف سلسلة من الغارات الإسرائيلية (الصهيونية) .. وكان إيدن قلقًا من احتمال توجه الملك حُسين إلى مصر طلبًا للعون، ولذلك أعوز لنوري السعيد أنّ يعلن استعداد العراق لإرسال قوات من الأردن ، وفورًا عارضت إسرائيل هذا التحرك!!![1].

- وفي صيف وخريف عام ١٩٥٦ كانت نتيجة الانتخابات ، والتي أسفرت

(1) نجلاء أبو اعز الدين : ناصر العرب ، ترجمة فريد أبو عز الدين ، دار المستقبل العربي ، القاهرة ، الطبعة الأولى، عام ١٩٨٨ ، ص٢١٦.

نتائجها عن مجس نيابي مؤيد لنهج عدم الانحياز في السياسة الخارجية وداعم لقيام اتحاد عربي وقومي لحل مشاكل الأردن.

- وتمشيًا مع هذا الاتجاه «القومي» عقدت الحكومة الأردنية في ٢٥ تشرين الأول (أكتوبر) معاهدة دفاعية مع سورية ومصر - كما أشرنا من قبل - حيث وضعت بموجبها جيوش الأقطار الثلاثة تحت قيادة مشتركة على رأسها قائد مصري في حالة نشوب حرب مع إسرائيل (الصهيونية) .. وقد اعترف رئيس الحكومة البريطانية صراحة ودون مواربة بأن عقد هذه «المعاهدة» كانت أهم أسباب الهجوم الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦م، والذي كان يستهدف وقف تيار نفوذ عبد الناصر[1].

- والجدير بالذكر في هذا المضمار أن توقيع ميثاق التضامن والموقع في كانون الثاني (يناير) عام ١٩٥٧م من أسباب القرار، والذي اتخذته الحكومة الأردنية بإنهاء معاهدة الصداقة مع بريطانيا (العظمى) والمعقودة سنة ١٩٤٨م.

- وكان لأزمة عام ١٩٥٧ م كما كان لأحداث العام السابق سبب أساسي واحد هو محاولة «جر» الأردن إلى الالتزام بما لا يتفق والاهتمامات «القوميّة» .. أولًا : كان حلف بغداد، ثم مبدأ إيزنهاور (١٨٩٠ - ١٩٦٩) عام ١٩٥٧ (ملأ الفراغ)، فجرى إخماد الاحتياجات الشعبية بقسوة - كما تذكر الباحثة نجلاء أبو عز الدين - ووقف خلف قمع الحريات في الأردن الأسطول السادس الأمريكي، والذي قام بمناورات استعراضية للقوة في شرقي البحر الأبيض المتوسط، وأعلن وزير الجيش الأمريكي أن القوات مستعدة للهبوط بالمظلات

(1) نجلاء أبو عز الدين : مرجع سابق، ص٢١٨.

في الأردن ، وأرسلت شحنات من الأسلحة الأمريكية إلى قوى الأمن الداخلي، كما أعلن السفير الأمريكي تقديم هبة قدرها عشرة ملايين دولار لمساعدة الأردن اقتصاديًا ، والمحافظة على استقرار وضعه السياسي[1].

– وقد هز قيام الجمهورية العربية المتحدة في ٢٢ فبراير (شباط) عام ١٩٥٨م الشعب الأردني ، كما هز العرب في كل مكان من العالم العربي The Arab World ، بينما إعلان الاتحاد بين العراق والأردن – بعد أسبوعين – لم يترك أثرًا، ولم يثر أي اهتمام.

– وقد أحدث سقوط الملكية في العراق في ١٤ يوليو (تموز) عام ١٩٥٨ م بعد قتل الملك فيصل الثاني (١٩٣٥ – ١٩٥٨) وعائلته اضطرابًا في السياسة البريطانية/ الأمريكية في العالم العربي The Arab World ، ونشر الذعر لدى حلفائهما المحليين .. ففي استعراض «مسرحي» للقوة ولتدعيم أصدقائهم أنزل الأمريكيون جنود البحرية (المارينز) في بيروت !! كما أرسل البريطانيون ، وهم في قمة صلفهم قوات محمولة جوًا إلى الأردن ، وفي طريقها إلى عمان سمح للطائرات الحربية البريطانية بالمرور فوق المجال الجوي لإسرائيل ، ولما انسحبت القوات البريطانية من الأردن – بعد بضعة أشهر – غادرته هذه المرة بطريق سورية «الأقليم الشمالي» في الجمهورية العربية المتحدة[2].

– ويقدم محمد رفعت رؤيته عن منهج الملك حُسين بن طلال في الحكم وطريقته المتناقضة في كتابه «المهم » «التوجيه السياسي للفكرة العربيّة الحديثة» ،

(1) نجلاء أبو عز الدين : ناصر العرب ، ترجمة فريد أبو عز الدين، دار المستقبل العربي ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، عام ١٩٨٨، ص٢١٨

(2) نجلاء أبو عز الدين : مرجع سابق ذكره ، ص٢١٨.

فيذكر أنه: «ومع أن الأردن لم ينضم فعلًا إلى «حلف بغداد»، فإن العون المالي والفني والسياسي، الذي قدمته الولايات المتحدة للأردن قد جعل من هذه البلاد إحدى ركائز النفوذ لغربي في الشرق الأوسط.. ولكن حسين لم يلبث أن واجه خطرًا حيويًا جديدًا هدد الأردن، وذلك باتحاد سوريا ومصر وقيام الجمهورية العربية المتحدة في فبراير ١٩٥٨، فسارع بالاتصال بقريبه ملك العراق، ومازال حتى أعلنوا قيام الاتحاد العربي بين العراق والأردن ليوازنوا به قيام الجمهورية العربية المتحدة في ١٤ فبراير عام ١٩٥٨م، وكان اتحادًا لم يقرر له البقاء أكثر من بضعة شهور»[١].

ويستطرد محمد رفعت في معرض آخر فيقول: «ففي ١٤ يوليه عام ١٩٥٨ تكهرب الجو، وقامت ثورة العراق (بعد اغتيال فيصل الثاني وعائلته)، وظن الملك حُسين أنه بمقتضى القانون الأساسي للاتحاد العربي، الذي أنشأه العراق والأردن يصبح حسين بعد مصرع فيصل الثاني (١٩٣٥ - ١٩٥٨) رئيسًا لحكومة الاتحاد، وكان عليه أنّ يتخذ من الإجراءات ما يكفل القضاء على الثورة، وقد خشيت الولايات المتحدة الأمريكية – حينئذ – أن تتطور الأمور فيمتد لهيب الثورة (Revolution)، ويلتهم البقية الباقية من النفوذ العربي في الأردن ولبنان، وعلى ذلك أنزلت الولايات المتحدة قواتها البرمائية في لبنان، وهبطت فرق من جنود المظلات البريطانية في الأردن لحماية النظام القائم وثار الرأي العام العربي لذلك، واحتجت الجمهورية العربية المتحدة معلنة مساندتها للثورة في العراق، ولم تلبث الحال أن هدأت في مدى شهرين وجلت القوتان عن الأردن ولبنان»[٢].

(1) محمد رفعت: التوجيه السياسي للفكرة العربية الحديثة، دار المعارف بمصر، طبعة عام ١٩٦٤، ص٣٣٤.

(2) محمد رفعت: مرجع سابق ذكره، ص٣٣٤.

وقدم رفعت تبريرات ربما تكون مقبولة عند البعض لوجود التناقض الواضح في أسلوب حُسين ومنهجه في الحكم، والتي جعلته أشبه بلاعبي السيرك، فذكر: «.. ومما يؤثر في توجيه سياسة الأردن تأثيرًا عظيمًا ضآلة إيراداته المالية وصغر مساحة أراضيه الصالحة للزراعة، وعدم كشف موارد معدنية تذكر في جوف أرضه، مما دعا الأردن إلى الاعتماد كثيرًا على العون المالي، الذي تقدمه الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا»[1].

-ومع هذا تبقى علاقة الأردن بمصر (عبد الناصر) علاقة فريدة - كما يقول أحمد حمروش في سفره الكبير والمهم «ثورة ٢٣ يوليه»، حيث وصلت أحيانًا إلى درجة ملحوظة من الصداقة والتعاون.. وتنافرت أحيانًا أخرى إلى درجة العداء واستباحة الدماء .. وقد تداخلت في هذه العلاقة عدة عوامل منها الصلة العضوية، التي كانت تربط الأردن ببريطانيا (العظمى) منذ عهد الأمير - الملك عبد الله - وصلة القرابة بين الملك حسين، وملك العراق فيصل، والمنافسة التقليدية بين الأسرة المالكة في السعودية في الحجاز، وبين الأسرة المالكة الهاشمية في العراق والأردن، وطبيعة الدولة التي جمعت بين الفلسطينيين المهاجرين والبدو، ومحاولات الاستعمار المتكررة لفرض الأحلاف العسكرية في المنطقة[2].

(1) محمد رفعت: التوجيه السياسي للفكرة العربية الحديثة، دار المعارف بمصر، طبعة عام ١٩٦٤، ص٣٣٥.

(2) احمد حمروش: ثورة ٢٣ يوليه، الجزء الأول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، طبعة عام ١٩٩٢، ص١٠٣٧.

٢

عبد الناصر.. ولبنان

أ-إستراتيجية لبنان وتاريخية مأساته :

-قلما تتعرض دولة لمأساة تاريخية كتلك التي تعرضت لها لبنان ، وذلك بالرغم من أن جزءًا كبيرًا من هذه «المأساة» كان بمثابة جرح أحدثته لبنان لنفسها ، لقد خلقت فرنسا لبنان من خلال منطقة انتداب حصلت عليها من تركيا بعد الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ - ١٩١٨م).. لقد حاولت أمة حبيسة يسيطر عليها أغلبية مارونية مسيحية حول جبل لبنان ، وذلك رغم أن البيانات عن أنهم يمثلون الأغلبية العظمى بيانات غير مؤكدة[١].

والجدير بالبيان أنه لما دخل الفرنسيون في عام ١٩١٨م عقب إبرام الهدنة مع الأتراك (العثمانيين) كانوا يزعمون أن اللبنانيين وأكثريتهم من المسيحيين الكاثوليك سيكونون السند القوي والضلع الأقوى لفرنسا في دعم سياستها (الاستعمارية) في المنطقة ، وذلك اعتمادًا على ما كان يربط اللبنانيون المارونيين والفرنسيين من وحدة في الدين والثقافة ، ومن خدمات جليلة أداها «الفرنسيون» للبنان عبر التاريخ أقدمها في العهد الصليبي (وحروب القرون الوسطى) ، وآخرها عندما أرسلت فرنسا في عهد الإمبراطور نابليون الثالث ، وأرسلت - وقتئذ - حملة عسكرية لحماية المسيحيين ، عقب المذابح التي وقعت

(١) أنتوني هـ. كوردسمان: بعد العاصفة ، ص٣٤٤.

مآسيها في لبنان في عام ١٨٦٠م بين المارونيين والدروز .. وقد كانت تلك الحملة الفرنسية سببًا في منح لبنان حق الاستقلال الإداري في عهد الأتراك[١].

- ويرى محمد رفعت في كتابه المهم «التوجيه السياسي للفكرة العربية الحديثة» : «أن نقطة الضعف الحقيقية في المجتمع السوري اللبناني أنّ الحكم العثماني المتداعى، الذي قام فيهما وامتد نحو نحو أربعة قرون قد قوى أسباب الشقاق والخلاف بين الطوائف الدينية في البلدين، وأنه لما انقضى الحكم العثماني في الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ –١٩١٨م) ، كان من سوء خط البلدين أن انتهت عليهما فرنسا التي تمادت في بث عوامل الفرقة بين الطوائف المختلفة ، وكانت الفكرة العربية قد تحولت في أثناء الحرب العالمية الأولى من مجرد أحلام وأماني إلى حقائق أعرب عنها السوريون حين أعلنوا فيصل ابن الشريف حسين ملكًا عليهم في مارس ١٩٢١ عقب انتهاء الحرب وتسريح الجنود البريطانيين.. فأرادت فرنسا أن تقوض دعائم فكرة الدولة العربية ، وتمحو آثارها ، فانبرت تطارد فيصل بن الحسين ، وتشتبك مع العرب في حرب غير متكافئة ، كان نتيجتها هزيمة الوطنيين العرب في «ميسلون» في يوليه سنة ١٩٢٠ ، ثم أنها لم تكتف بذلك ، بل أنها جعلت الفروض الدينية هي القاعدة التي تسير عليها حكم البلاد.. ومع أن محاولات فرنسا قد باءت أخيرًا بالفشل، فإن آثار حكمها قد بقيت في نفوس الشعب حتى بعد أن تضافرت جميع القوى والعناصر على مجابهة العدو المشترك[٢].

(1) محمد رفعت: التوجيه السياسي للفكرة العربية الحديثة ، دار المعارف بمصر ، طباعة عام ١٩٦٤ ، ص٢٠٥.

(2) محمد رفعت: مرجع سابق ذكره، ص٢٠٦.

- بيد أن أهل لبنان كغيرهم من الشعوب الصغيرة -كما يذكر رفعت- التي كانت مغلوبة على أمرها قبل الحرب العالمية الأولى (والتي بدأت ١٩١٤) قد هزت هذه الشعوب «المقهورة» صيحة المبادئ الحرة الجديدة التي أعلنها الحلفاء ونادى بها الرئيس الأمريكي ودروولسون (حكم من ١٩١٣ وحتى ١٩٢١) بشأن حق الشعوب في تقرير مصيرها، ولذلك رأينا من أهل لبنان من يشترك مع العرب في مؤتمراتهم واجتماعاتهم وقراراتهم برغم الحظر «المقيت»، الذي كانت تفرضه القوات الفرنسية عليهم في أعقاب الحرب[1].

- وغني عن البيان أنه قد أعلن استقلال لبنان عام ١٩٤١ رغم أن القوات الفرنسية لم تبرح لبنان فعليًّا، وحتى عام ١٩٤٦ والدولة، والتي تولدت من هذا كانت مساحتها ١٠٤٠٠ كيلومتر مربع، ولها شواطئ طولها ٢٢٥ كيلومترًا على البحر الأبيض المتوسط، ٧٩ كيلومترًا حدودًا مع إسرائيل، ٢٧٥ كيلومترًا حدودًا مع سوريا[2].

- وفي عام ١٩٣٤م عقد المارونيون اتفاقًا مع السنة حدد فيه أن رئيس الجمهورية يكون مارونيًا، ورئيس الوزراء من الطائفة السنية، ورئيس مجلس النواب من الطائفة الشيعية، كما حدد أيضًا أن يكون مجلس النواب والخدمة

(1) محمد رفعت: التوجيه السياسي للفكرة العربية الحديثة، دار المعارف بمصر عام ١٩٦٤، ص١٩٧.

(2) أنتوني هـ. كوردسمان: بعد العاصفة، التغيرات في التوازن العسكري بالشرق الأوسط، ترجمة وتقديم وتعليق المشير محمد عبد الحليم أبو غزالة، دار الهلال بمصر، بدون تاريخ، ص٣٤٤.

المدنية مقسمة حسب التعداد بين المسيحيين والمسلمين ، والذي زعم أن النسبة ٩ مسيحيين إلى ٥ مسلمين، ولم يكن هناك إحصاء رسمي للدولة اللبنانية منذ عام ١٩٣٢، ومن المؤكد – كما يذكر الخبير الإستراتيجي أنتوني كوردسمان – أن النسبة غير صحيحة ، ومن الواضح أن السنيين كانوا الأغلبية.. وفي الواقع قامت المخابرات المركزية الأمريكية CIA عام ١٩٨٨ بتقدير أن ٤١٪ من سكان لبنان شيعة ، ٢٧٪ سنة ، ١٦٪ مارونيون مسيحيون ، ٧٪ دروز ، ٥٪ يونانيون أرثوذكس ، ٣٪ يونانيون كاثوليك ، ١٪ مسيحيون آخرون[1].

– وقد أدت الصدامات الداخلية بين العائلات المارونية إلى عدم استقرار النظام الحكومي في لبنان، وازداد الأمر سوءًا عندما خسرت لبنان بعض المعارك التي خاضتها بعد عام ١٩٤٨ في الصدام مع إسرائيل ، وغرقت الدولة اللبنانية بفيض من المهاجرين الفلسطينيين ، حيث أثرت على الجانب الديمغرافي اللبناني، وكانت له تداعيات عديدة في أعقاب الهجرة المتلاحقة إلى لبنان.

ب- دور عبد الناصر لمناصرة الحق اللبناني:

-كانت ثورة يوليو ١٩٥٢ في مصر – كما يذكر محمد رفعت في كتابه «التوجيه السياسي للفكرة العربية الحديثة» – قد بهرت العالم لعربي The Arab World بما حققته من نجاح ، فتاق الشعب اللبناني إلى حدث مماثل يقضي به

(1) أنتوني هـ كوردسمان : مرجع سابق ذكره ، ص٣٤٤.

اللبنانيون على عناصر الفساد.. ومع ذلك لم يسع الرئيس بشارة الخوري إلا أن يستمع إلى نداء العقل، فاستقال بعد أن عين الجنرال فؤاد شهاب قائد الجيش للرئاسة بشكل مؤقت ، ولما رفض «الأخير» ذلك ، اختار المجلس بالإجماع «كميل شمعون» رئيسًا في ٢٣ سبتمبر ١٩٥٢[١].

- وقد كان المأمول أن يظل لبنان مسايرًا للسياسة العربية ، والتي كانت تمثلها جامعة الدول العربية ، لاسيما أن حدوده تتاخم حدود الدولة العبرية (إسرائيل) من الشمال ، ولكن ما لبث الأمر أن رأينا «كميل شمعون» ورئيس وزرائه «سامي الصلح» يقومان بزيارة رسمية لدولة تركيا في أبريل سنة ١٩٥٥ ، وأن يقوم رئيس جمهورية تركيا برد الزيارة للبنان في يونيو من ذلك العام ، ويعلن الرئيسان (اللبناني والتركي) بأنه لا خلاف في الرأي بين الحكومتين، وأن التعاون الفعلي وشيك القيام بينهما ، وبدا للعرب كأنما لبنان يعد العدة للانضمام إلى العراق في «حلف بغداد» ، وعلى ذلك توترت العلاقات بين لبنان من جهة ، وبين مصر والسعودية وسوريا من جهة أخرى ، إلى أن وقع العدوان المسلح على مصر على أثر تأميم قناة السويس في خريف ١٩٥٦ ، فاستجاب لبنان كغيره من العالم العربي لنداء القومية العربية ، والشعور القومي، ولكن حكومات لبنان اكتفت باستدعاء ممثليها في باريس ولندن ، ولم تقطع علاقتها معهما كما فعلت سوريا[٢].

(1) محمد رفعت : التوجيه السياسي للفكرة العربية الحديثة ، دار المعارف بمصر ، طباعة عام ١٩٦٤، ص٢٠٢.

(2) محمد رفعت : التوجيه السياسي للفكرة العربية الحديثة ، دار المعارف بمصر ، طباعة عام ١٩٦٤، ص٢٠٣

- ولما أعلن الرئيس الأمريكي دوايت إيزنهاور Eisenhower (١٨٩٠ - ١٩٦٩م) في أوائل عام ١٩٥٧ مبدأه الذي أراد به أن يملأ الفراغ، الذي نجم عن ذهاب النفوذ البريطاني والفرنسي عن المنطقة على أثر العدوان الثلاثي (من فرنسا وإنجلترا وإسرائيل) كانت حكومة لبنان أول من أشاد بالمبدأ واحتفى به وأبدى استعداده لقبوله، وذلك على الرغم من وقوف سوريا ومصر ضد هذا المبدأ «الاستعماري»، الذي لم يكن يرمى إلا استعادة النفوذ الغربي في منطقة الشرق الأوسط The Middle East بعد أن فشلت مساعي الغرب في حرب بورسعيد والقناة.. ودأبت الحكومة اللبنانية منذ ذلك الحين على السير في درب متناقض لرغبات أكثرية الشعب اللبناني[1].

دوايت إيزنهاور

وقد اشتعلت الثورة في لبنان في ٨ مايو (آيار) سنة ١٩٥٨ بعد اغتيال صحفي ماروني، وثارت الاضطرابات، وتفاقمت الاحتجاجات، وحمّلت المعارضة الحكومة اللبنانية مسؤولية هذا الفعل، وأعلنت اضطرابًا عامًا في أرجاء البلاد، فاشتبكت قوات الأمن مع المتظاهرين، واشتعلت نيران الثورة Revolution، والتي كانت نفسها هدفًا لمؤامرات ونشاطات هدامة من جانب عملاء «حلف

(1) محمد رفعت: مرجع سابق ذكره، ص٢٠٣، ٢٠٤.

بغداد»، الذين منحتهم الحكومة اللبنانية الملجأ والتشجيع..!! لكن تأثير الجمهورية العربية المتحدة على لبنان فاق بكثير ما تلقته الثورة من العون المادي ، إن الذي أحدث هذا التأثير هو ارتباط مضمون دعوتها بحل مشاكل الدولة اللبنانية إذا أن حاجة «لبنان» الأساسية هو شعورٍ بالهوية ، وولاء مشترك يوحد مختلف الجماعات والأطياف ، ويربطها بالدولة State ، وأن التطوير الاقتصادي القائم على تخطيط عملي مدروس ، وهادف إلى عدالة اجتماعية يمكن أن يخلق في «لبنان» ولاءً جديدًا ، يحل محل الارتباطات الطائفية والمذهبية[1].

-في أغسطس (آب) عام ١٩٥٨ عقدت الجمعية العامة لهيئة الأمم المتحدة دورة خاصة ؛ لبحث الموقف في «لبنان» و«الأردن» ، حيث أرسلت قوات بريطانية في نفس الوقت الذي نزلت فيه قوات البحرية الأمريكية (المارينز) في لبنان.. وخلال المناقشات تراجعت شكاوى الحكومتين: اللبنانية والأردنية من تدخل الجمهورية العربية المتحدة إلى الخلف[2].

فالجدير بالذكر أنه بعد حدوث اضطرابات في «لبنان» فوجئ العالم بثورة العراق الأولى في ١٤ يوليو (تموز) عام ١٩٥٨م ، وتخوفت الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا أن ينهار ويسقط ما تبقى من نفوذ للغرب في لبنان والأردن.. فتحركت الولايات المتحدة لإنزال قواتها البحرية (المارينز) بلبنان ، وتحركت بريطانيا أيضًا لإنزال جنود مظلاتها بعمان بالأردن .. وأعلنت

(1) نجلاء أبو عز الدين: ناصر العرب ، ترجمة فريد أبو عز الدين ، دار المستقبل العربي ، القاهرة، الطبعة الأولى عام ١٩٨٨ ، ص٢٢٢ ، ٢٢٣.

(2) نجلاء أبو عز الدين : مرجع سابق ذكره ، ص٢٢٣.

الدولتان : «الأمريكية / والبريطانية» أنهما ستسحبان قواتهما بمجرد استقرار الأمور ، واستتباب الأمن في المنطقة..!! [1].

وكان أول من استقر عليه رأي الحكومة الأمريكية أن تؤكد عزم «كميل شمعون» على عدم التقدم للانتخابات وخوضها ، وأن تعجل في اختيار رئيس جديد للبنان ترضى عنه الأحزاب السياسية والطوائف المذهبية جميعها.. وقد أدى المطاف بها في النهاية إلى ما سبق أن عرضته واقترحته مصر ، وهو تأييد ترشيح الجنرال «فؤاد شهاب» ، وقد تم انتخابه بالفعل في ٣ يوليو «تموز» سنة ١٩٥٨ بما يشبه الإجماع.. وغادرت القوات الأمريكية أدراجها ، وعادت العلاقة بين لبنان والجمهورية العربية المتحدة إلى سابق عهدها ، وقد كان للمقابلة التي تمت على حدود سورية ولبنان بين الرئيس جمال عبد الناصر (١٩١٨ – ١٩٧٠م) والرئيس شهاب في ٢٥ مارس ١٩٥٩ أبلغ الأثر وأعظمه في دعم روابط الأخوة العروبيّة والصداقة بين القطرين العربيين [2].

-وترصد الباحثة نجلاء أبو عز الدين في كتابها «ناصر العرب» التغيرات التي حدثت على الساحة اللبنانية بالنسبة للموقف العربي وجمال عبد الناصر (١٩١٨ – ١٩٧٠) قائلة: «إن طابع لبنان العربي ، الذي جرى إعلانه ـ تحفظ سنة ١٩٤٣ أصبح بعد سنة ١٩٥٨ حقيقة أساسية في الحياة العامة ، كما أنّ قضية

(1) محمد رفعت: التوجيه السياسي للفكرة العربية الحديثة ، ص٢٠٥.

(2) محمد رفعت : التوجيه السياسي للفكرة العربيّة الحديثة ، دار المعارف بمصر ، عام ١٩٦٤ ، ص٢٠٥.

العرب الأولى فلسطين ، هي أيضًا قضية لبنان ، ويستضيف أكبر تجمع فلسطيني خارج الأردن وقطاع غزة ، ويبلغ عددهم ثلاثمائة ألف (تزايدت أعدادهم مؤخرًا) ، أخرجتهم إسرائيل بالقوة من ديارهم ، وشنت القوات الإسرائيلية وسلاحها الجوي غارات وحشية على قرى جنوبي لبنان ، زاعمة أنها تؤوي فدائيين.. وقد عم اللبنانيون في مختلف الاتجاهات والميول السياسية حزن مخلص لوفاة الرئيس جمال عبد الناصر ، فالتقدير عبّر عنه صحفي بارز يمثل شعورًا عامًا ، إذ قال: «بعد ١٩٦٧ ، ولما لم يعد عبد الناصر ، ذلك الزعيم المخيف ، وصاحب السلطان غير المحدود ، أصبح القائد الجليل لمائة مليون عربي ، والصديق الصدوق الذي وثق به اللبنانيون لخلاصهم من مشاكلهم»[1].

(1) نجلاء أبو عز الدين: ناصر العرب ، ترجمة فريد أبو عز الدين ، دار المستقبل العربي ، القاهرة، الطبعة الأولى ، عام ١٩٨٨، ص٢٢٤.

٣

عبد الناصر.. وقضية الصومال

كانت الخريطة «الصوماليّة» في أوائل الخمسينيات من القرن العشرين، وهي ذات الموقع الإستراتيجي «الهام» في القرن الأفريقي «متعددة» في عدة أوجه: تمثل ذلك في وجود صوملات خمسة هي: الإيطالي، والإنجليزي، والفرنسي، والأثيوبي، والكيني.. كما تم وضع هذا الإقليم «المتعدد الأوجه» تحت وصاية هيئة الأمم المتحدة UN، والتي أنشأت بدورها المجلس الاستشاري منذ عام ١٩٥٠م مكونًا من ثلاث دول هي: مصر، وكولومبيا، والفلبين؛ للإشراف على البلاد لتحقيق استقلالها[١].

-غير أن الإيطاليين، والذين يملكون السلطة الإدارية -كما يذكر أمين هويدي في كتابه «مع عبد الناصر» - ويسيطرون أيضًا على اقتصاد البلاد، ويملكون مقاليده ومعظم أراضيه الخصبة، لا يريدون تغيير الأوضاع.. فاستغلال الصومال لصالحهم، ولحسابهم هو الأهم - قطعًا - فكانوا يضعون العراقيل أمام أي جهد مبذول يقوم به المجلس الاستشاري - المشار إليه سابقًا - لإشراك الوطنيين من الصوماليين في الإدارة وتدرجهم نحو استقلال إرادتهم، وإعادة حريتهم[٢].

(1) أمين الهويدي: مع عبد الناصر، دار المستقبل العربي، القاهرة، الطبعة الثالثة، عام ١٩٩١، ص٢٤٦.

(2) أمين الهويدي: مرجع سابق ذكره، ص٢٤٦.

- ومن ثمَّ .. أبدى كل مستعمر طمعه في الصومال.. فلم يكن يعارض البريطانيون في استقلال (هرجيسية – الصومال الإنجليزي) ، على أن يتحد مع الصومال الإيطالي بعد استقلاله في دولة مستقلة تدخل رابطة الكومونولث البريطاني.. كما أن أثيوبيا تسعى جاهدة إلى ضم الإقليم الذي تديره إلى الوطن الأم ، كما ضمت منطقة «الأوجادين» من قبل تؤديها الولايات المتحدة الأمريكية في تنفيذ رؤيتها الاستعمارية[1].

- فقد كان المستهدف من هذا التقسيم الاستعماري هو القضاء على الملامح العربية للصومال ، وإيجاد علاقة اقتصادية – وهي ذات الموقع الإستراتيجي الهام – بينها وبين الكيان الصهيوني في إسرائيل ، وقد أعلنت مصر عام ١٩٥٢م وسط هذه المؤامرات الخبيثة عن سياستها الواضحة ، والتي تعتمد على مساندة القوى الوطنية في الصومال ؛ من أجل احتفاظ شعبها بمقوماته وبحدوده العربية الإسلامية ، ووحدة أراضيه ، وقطع الطريق «الرجعة» على إسرائيل ؛ حتى لا تجد لها موطئ قدم ؛ لصوغ علاقة اقتصادية مع الصومال.

وقد وضعت مصر سياستها على اتجاهين وهما:-

الأول: الاتجاه السياسي القانوني: وفيه استندت مصر على وضعها القانوني في المجلس الاستشاري ، والذي كان يعطيها الحق في محاسبة الإدارة الإيطالية عن طريق هيئة الأمم المتحدة UN.

الاتجاه الثاني : حيث قدمت مصر مساعدتها الإيجابية عن طريق إمداد

(1) أمين هويدي: مرجع سابق ذكره ، ص٢٤٧.

المدارس العربية التي تفتحها الجمعيات والأحزاب بالمدرسين والكتب العربية والجامعات لأبناء الصومال.. كما فتح الأزهر «الشريف» أبوابه على مصاريعها لأعداد هائلة من الصوماليين ، وقام بإرسال بعثة أزهرية إلى الصومال، حيث استقلت الدولة عام ١٩٦٠م[١].

-ويرى محمد فايق في كتابه «عبد الناصر والثورة الأفريقية» أن الصومال شهد صراعًا عنيفًا بين العديد من القوى الاستعماريّة والأجنبية ، التي أتاحت لها الظروف التواجد بالصومال، وكان كلها تشكل خطرًا على الاستقلال الحقيقي للإقليم.. فكان الإيطاليون أخطر هذه القوى الاستعمارية – قاطبة – فهم يملكون سلطة الإدارة ، ويسيطرون على الاقتصاد، ويخططون – بدهاء – لإبقاء اقتصاد الإقليم خاضعًا للاقتصاد الإيطالي .. أما القوى الاستعمارية الثانية بريطانيا ، والتي كانت تستعمر جزءًا من الأراضي الصومالية ، وهو ما عرف بالصومال الإنجليزي ، كما أن نفوذها متغلغلًا في الإقليم عن طريق بعض الشركات الاقتصادية ، التي قامت عندما احتلت بريطانيا الصومال عام ١٩٤٢ عقب هزيمتها للإيطاليين أثناء الحرب العالمية الثانية ، وكان الخطر الثالث على الإقليم الصومالي ، فكانت أثيوبيا ، والتي كانت تسعى دومًا إلى ضم الإقليم إليها بصفتها «الوطن الأم»، كما كانت تزعم ذلك ، وقد نجحت من قبل في ضم إقليم «أوجادين» الصومالي – كما أشرنا – بمساندة أمريكا ، والتي كانت تقف وراء كل نشاط أثيوبي وتدعمه[٢].

(1) أمين الهويدي : مع عبد الناصر ، دار المستقبل العربي ، القاهرة ، طباعة عام ١٩٩١، الطبعة الثالثة ، ص٢٤٧.

(2) محمد فايق: عبد الناصر والثورة الأفريقية ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، الطبعة الخامسة ٢٠٠٢، ص٣٣ ، مطبوعات ثورة يوليو (٥).

-ويرى فايق أنه ، وعلى الرغم من تعارض أهداف هذه القوى الأجنبية الاستعمارية في الصومال ، وتباين مواقفها ، إلا أنها جميعًا كانت متفقة على ضرورة القضاء على الملامح العربية للصوماليين، كما كانت تتفق في حماسها لإيجاد علاقة اقتصادية وطيدة بين الصومال وإسرائيل ، والتي كانت الأخيرة بدورها قد أقامت «مجزرًا»آليًا في جيبوتي ، وأنشأت شركات في أثيوبيا أهمها: شركة «أنكورا» [1].

- ووسط هذا الصراع العنيف لهذه القوى ، التي كانت تتآمر على مصالح الشعب الصومالي ، جاءت مصر – بعد ثورة يوليو ١٩٥٢ بزعامة عبد الناصر – لتلعب دورًا تاريخيًا في مساندة القوى الوطنية في الصومال في نضالها من أجل الاستقلال Autonomy ، والاحتفاظ بمقومات الشخصية الصومالية بجذورها العربية الأفريقية الإسلامية[2].

(1) محمد فايق: عبد الناصر والثورة الأفريقية ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، مطبوعات ثورة يوليو(٥) ، الطبعة الخامسة ، ٢٠٠٢، ص٣٣.

(2) محمد فايق : مرجع سابق ذكره ، ص٣٣.